الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي أكلي محند أولحاج بالبويرة

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الغزل في شعر حسان بن ثابت بين الجاهلية والإسلام
- دراسة مقارنة -

إعداد الطالبتين:
* خديجة سليماني
* زهية مفتي

إشراف الأستاذة:
* **فضيلة يونسي**

السنة الجامعية: 2010 م / 2011 م.

الحمد لله ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، من يهد الله فهو المهتدي ومن يظل فلن تجد له وليا مرشدا، والصلاة والسلام على محمد وعلى اله وصحبه أجمعين .

نتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذة المشرفة **يونسي فضيلة** التي كانت نعم السند لنا في انجاز هذا البحث، شكرا لما قدمته لنا من إرشادات، شكرا لأنها ساعدتنا على أن يعرض بحثنا هذا النور، ونأمل أن يوفقها الله لمزيد من النجاح في حياتها.

شكرا لمن ساعدنا من بعيد أو قريب في انجاز هذا البحث.

إهداء

إليك يا بلسم الروح و شعلة الأمل و منبع الحنان

إلى التي بعيون الأتعاب رعتني ومن المشقات حمتني

ومن الهم و البؤس أنستني إليك أمي الغالية .

إلى منير دربي و معلمي الأول في هذه الحياة

إليك والدي العزيز .

إلى الذي قيل فيه " رب شقيق لك لم تلده أمك "

طبيبي و معالجي و آخى أوكيل السعيد.

إلى من تقاسمت معهم أجمل سنين عمري إخوتي

رياحين قلبي : محمد، علي، إبراهيم ، بوعلام، عبدوا ، صادق

إليكن يا شمعات البيت ونور ضيائه : مليكة ، جميلة ، فتيحة

إليك يابنة أمي : لويزة و زوجك عبد القادر وأبنائكما

إلى كل من ساعدني ماديا أو معنويا من قريب أو من بعيد

إلى شريكتي و صديقتي في هذا العمل سليماني خديجة

إلى أكثر الناس عونا و توجيها الأستاذة و المشرفة المحترمة

يونسي فضيلة .

أهدى هذا البحث البسيط والمتواضع.

زهـــيـــة

إهداء

إلى من قال فيهما الله عز وجل " و قل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا "

إلى القلب الذي كان يتدفق حبا و حنانا إلى روح أمي الطاهرة

" رحمها الله "

إلى من لم ينسني يوما بدعائه أبى حفظه الله و رعاه

إلى آخى العزيز و سندي في الحياة على

إلى من دفعتني إلى طلب العلم أختي : زوليخة

إلى أخواتي و أزواجهن

إلى أبناء أخواتي و قرة عيني :الأنيق مهدي ، الوسيم ، محمد نجيب

الهادئة : هبة الله + الذكية : شيماء

الودود : رائد ، الرافع : ياسين ، المدلل : وائل سليمان

الجميلة: أسماء

إلى وحدتي العضوية : نسيمة ، حفيظة ، فتيحة

إلى ANGEL محمد "رب أخ لم تلده لي أمي "

إلى صديقاتي المشاغبات : إيمان ، سمية ، وردة ، الضاوية

سلمى ، زهرة ، عبلة ، فتيحة ، دليلة ، نورة .

إلى شريكتي و صديقتي في العمل زهية

إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد

خديجــة

مقدمة:

يعد الشعر الجاهلي استجابة لأحاسيس النفوس من حب وبغض و التعبير عن رغباتها من إذاعة المكارم و نشر المحامد، و تصوير عاطفة ألمها فقد حبيب و موت عزيز و اغتراب خلى وفي، و بسبب هذا تنوعت أغراض الشعر من غزل و فخر وهجاء و رثاء، فكان مقصد القصيد يستهل بذكر الديار و الزمن و الآثار، و يصل ذلك بالنسيب و التشبيب فإذا استوثق من الإصغاء إليه شكا الألم و السهر، فكان فن الغزل هو متنفس معظم شعراء الجاهلية، لما كان للمرأة العربية من تأثير على عقل الشعراء و قلبهم وعواطفهم، فتغزلوا بها و ذكروا مفاتنها حتى سمى غزلهم بالغزل الماجن، إلى أن جاء الإسلام و هذب في الشعر عامة وفي غرض الغزل خاصة فتأثر الشعراء بالقران الكريم و الحديث الشريف فهذبوا من شعرهم.

و يعد حسان بن ثابت من أشهر الشعراء المخضرمين، و الخضرمة تعنى أن يعيش الإنسان أو الشاعر عصرين مختلفين، كأن يعيش العصر الجاهلي و صدر الإسلام، و حسان بن ثابت من بين هؤلاء الشعراء الذين اهتموا بالغزل في الجاهلية و الإسلام، لكن غزله في الجاهلية ليس كغزله في الإسلام إذ تحولت رؤيته للغزل تماما بعد مجي الإسلام.

أوما دعانا إلى اختيار هذا الموضوع الذي يحمل عنوان : الغزل في شعر حسان بن ثابت في الجاهلية و الإسلام فهو تحول فكر هذا الشاعر من الجاهلية إلى الإسلام، و كذلك كون حسان اقرب إلى الرسول صلى الله عليه و سلم بالإضافة إلى ما يتمتع به هذا الشاعر من أشعار في الجاهلية و في صدر الإسلام.ومن خلال مطالعتنا لمعظم الكتب التي تتعلق بسيرة هذا الشاعر رأينا أن فكر حسان قد تغير بين الفترة الجاهلية و فترة الإسلام و خاصة في غرض الغزل، فالغزل من بين الأغراض التي تحولت معانيها و ألفاظها و صيغتها من إفحاش وغلو و مجون في الجاهلية إلى تهذيب و عفة في الإسلام.

بدأنا بحثنا هذا بمدخل تناولنا فيه أهم فنون الشعر الجاهلي و كذلك اثر الإسلام و موقفه من الشعر ثم قسمناه إلى ثلاث فصول، الفصل الأول خصصناه للحديث عن الغزل عند حسان بن ثابت في عصر الجاهلية، وفيه مقدمة تتضمن لمحة عن حياة الشاعر، بعدها عرفنا فن الغزل لغة و اصطلاحا وماهيته و تجلياته في العصر الجاهلي ثم تحدثنا عن الغزل عند حسان و أراء النقاد في شعره الجاهلي. أما الفصل الثاني فتطرقنا فيه إلى تحول رؤية حسان بن ثابت في شعره، بدءا بمقدمة أوردنا فيها إسلامه، ثم تطرقنا إلى غزله في الإسلام، و كذلك رأي الرسول صلى الله عليه و سلم في شعره، وفي الأخير ذكرنا أراء النقاد في شعره الإسلامي.

خصصنا الفصل الثالث للمقارنة بين قصائد جاهلية و أخرى إسلامية لنستشف مدى تحول فكرة الشاعر في غزله.

وفي خاتمة البحث لخصنا رأينا في هذا التحول في شعره الغزلي ومدى تأثر الشاعر بالإسلام، مع إدراج مجموع النتائج التي توصلنا إليها خلال البحث، نرجو أن نكون قد وفقنا في بحثنا هذا، وانه قد لمّ ولو ببعض جوانب تحول غزل حسان بن ثابت في الجاهلية والإسلام.

مدخل

حين يتحدث النقاد عن الشعر الجاهلي، غالبا ما يقولون عن الشعر العربي انه الاستجابة لأحاسيس النفوس من حب وبغض وغير ذلك من الأحاسيس الإنسانية، وبسبب هذا ربما تنوعت أغراض الشعر الجاهلي، وتشعبت فنونه بحيث ظهر الغزل والمدح والفخر والهجاء والرثاء والوصف والحمد والاعتذار. وربما برع شاعر في النظم في غرض من هذه الأغراض بينما يقصر في غيره.

***فنون الشعر الجاهلي :**

إذا تأملنا في الشعر الجاهلي ندرك أن طبيعة الحياة العربية تتمثل بكل قيمتها وأعرافها في فنون ذلك الشعر وصوره الحية فكانت أغراضه تتراوح بين النسيب أو الغزل والفخر والمدح والهجاء والرثاء والوصف، كما كان يتخللها الكثير من شعر الحكمة والاعتذار فقد كانت القصيدة الشعرية متعددة الموضوعات، وأغراضها متنوعة، وهي في واقعها تنقل الواقع المحسوس، حيث أن المعاني فيها بسيطة غير مغرقة في الخيال والجمل خالية من الغلو المفرط إلا ما نذر، وهي في أكثر أحوالها تصور عواطف نفوسهم وما يختلج فيها من صدق وإخلاص وبساطة وعفوية فهم لا يتكلفون في قولهم كما يتكلفون في لباسهم وطعامهم وشرابهم وسائر أمورهم وكان رائدهم في ذلك بيت زهير بن أبي سلمى إذ يقول :

وان اشعر بيت أنت قائله** بيت يقال إذا أنشدته صدقا** [1]

ويمتد أثر ببيئتهم إلى منهج القصيدة وكيفية تأليفها فقد كان البدو أكثر الناس حبا وأشدهم هياما ووجدا، فتميزهم هذا نتيجة لحياتهم التي لم تكن تخضع لقيود، فانطلقوا انطلاقا عفويا وجرو مع عواطفهم دون أن تحد منها أي مانع فهم آهل رحيل وانتقال فإذا ما افترقوا تجدد في النفوس الشوق والأشجان وذكر كل ألف ألفه، وغنى شاعر حبيبه وبثه لواجع نفسه وأشجان صفواه. ولذلك التسيب والتشبيب والتغزل عندهم من أهم فنون القول يفتتحون به قصائدهم، لما فيه من راحة للنفس، وإمتاع للمشاعر وإثارة للخواطر والمواجد، وقد كانت المرأة تجسد الجمال الأوحد في الطبيعة البدوية [2]

ومنه، فالشاعر الجاهلي كان يتمتع بالحرية المطلقة في التعبير عن أحاسيسه ومشاعره، وهذا راجع لانعدام القيود الموضوعية لدى النقاد، وكذا لطبيعة البيئة التي كان يعيش فيها، فالشاعر " بدوي رحال يطوف الأرض بحثا عن العيش الرغد له ولماشيته، فيذكر الإطلال والأحبة وغير ذلك ". [3]

ومنه فما كان للشاعر البدوي إلا أن يتغزل بمحبوبته بكل ما يملكه من أحاسيس لما في ذلك من إمتاع للمشاعر والأحاسيس وإثارة للخواطر والوجدان ولأن النسيب والتشبيب قريبان من النفوس لا إطان من القلوب لما قد جعل في تراكيب العباد من محبة الغزل وألف النساء، فلا يكاد احد يخلو من أن يكون متعلقا منه بسبب، وضاربا فيه بسهم حلال أو حرام، فإذا علم انه استوثق من الإصغاء إليه والاستمتاع به، عقب بإيجاب الحقوق، فرحل شعره وشكا النصب والسهر وسرى الليل وحر الهجير وانضمام الراحلة.

ويرى ابن قتيبة " أن استهلال القصيد بالنسيب والغزل والوقوف على الأطلال، كانت تقف وراء أكثر الحاجة سواء فنية آو نفسية، إنها حاجة الشاعر لاستقطاب جمهوره، وشد إسماعهم إلى

---

1) ينظر يوسف عيسى ، حسان بن ثابت الأنصاري،حياته وشعره، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – ط1 1990 م ص 1-2.

2) ينظر يوسف عيسى، مرجع نفسه، ص 3.

3) ينظر قصي الحسين، شعر الجاهلية وشعراؤها، منشورات المكتبة الحديثة، طرابلس لبنان،2006، ص 2.

أشعاره هذا ما نجده عند جل الشعراء الجاهليين " [1]بالتالي فالهدف الأسمى الذي كان يسعى وراءه جل الشعراء الجاهليين هو الشهرة وبلوغ مرتبة اشعر الشعراء الجاهليين آنذاك وذلك يلفت انتباه الجمهور أو المستمع الجاهلي بالغرض الذي يحبه وهو مقدمات قصائدهم الغزلية أو النسيب أو بالوقوف على الأطلال.

***أثر الإسلام في الشعر وموقفه :**

كان للإسلام الأثر الفعال والكبير في تقويم وتقييم الشعر الجاهلي. رغم أن الانتقال من زمن الوثنية والعبودية إلى زمن الحرية والوحدانية اللاهية ليست بالأمر الهين، لذلك رأينا أن الحديث عن أثر الإسلام في الشعر أمر ضروري، لأننا في صدد الحديث عن شاعر الإسلام الأول" **حسان بن ثابت**" الذي دافع عن الإسلام بشعره طوال حياته التي عاشها في الإسلام، فقد كان أكثر شعراء الجاهلية من الأشراف والسادة وأهل الفروسية والحرب وأكثر شعره في الحماسة والفخر والتطاول بأنسابهم والتعصب لقبائلهم والتباهي بالحروب والانتصارات على الأعداء.

فضلا على ذكر الخمرة والإقبال عليها،والغزل الماجن والهجاء المقذع، فلما جاء الإسلام بتعاليمه الجديدة التي تتعارض كليا مع بعض اتجاهات ذلك الشعر ومناحيه.

فكان هدفه تطهير النفوس من أثار العصبية الجاهلية، وإرساء قوانين الدين الحنيف وتعاليمه السمحاء التي تهذب أفكارهم [2].

أي أن حسان بالرغم من كونه ذا شرف، وبالرغم من انتمائه إلى قبيلة ذات سيادة إلى أنه خصص شعره للدفاع عن الدين الجديد وهو الدين الإسلامي، طوال حياته التي عاشها في فطرة الإسلام.

-ومن أبرز النواحي التي غيرها الإسلام في الشعر:

1- تحريمه جل المواضيع التي تشحذ القريحة وتجعل الشعر أكثر سخاء كذكر الخمر ومغازلة النساء وإثارة الضغائن والأحقاد.

2- نسف الإسلام كثير من القيم الجاهلية واستبدالها بأخرى جديدة احدث ضجة بل كان له وقع الصاعقة على النفوس.[1]

1) ينظر قصي الحسين، شعر الجاهلية وشعراؤها، ص307.
2) ينظر قصي الحسين،شعر الجاهلية و شعراؤها،ص 306.

وأهم هذه القيم تحريمه للخمر

1) ينظر د. محمد الأزهر باي، حسان ابن ثابت شاعر الجاهلية و الإسلام، مركز النشر الجامعي، تونس 2005، ص93 .

I) فن الغزل عند حسان بن ثابت في الجاهلية

أكد معظم الباحثين اهتمام الشعراء العرب بشعر الغزل، إذ وجدوا أن أكثر أشعارهم وأروع قصائدهم وابرع أثارهم يتصل بالمرأة و يصف حسنها و يشيد جمالها. و يعلن الفرح بقربها و الحزن و الألم لفراقها و بعدها، و تأثيرها على النفس. و ما تجود به من وصل أو توزعه من دلال و صد وهجران.

فتحدثوا عنها حديث الذي تمتلكه الشهوة.و تستبد به الصبوة، فيصور جسمها من وجه وبطن و عيون تشبه عيون ألمها، و يعمد إلى كل ما يثير المشاعر.

و لعل أهم من برع في هذا الشعر من الشعراء العرب في العصر الجاهلي و تشبب بالنساء امرؤ القيس ابن جعفر.و قد سبق امرؤ القيس في ذلك خاله المهلهل الذي كان زير النساء. هذا و يشير الدكتور **مصطفي صادق الرافعي** إلى اهتمام النابغة الذبياني بهذا الغرض بالإضافة إلى العديد من الشعراء الجاهليين الذين ذكروا محاسن النساء و تأثيرها على عقل الرجل و قلبه و عواطفه و مشاعره.مما جعله يقتحم الصعاب ويخوض المغامرات. و يركب الأهوال من اجلها كعنترة مجنون عبلة، و قيس مجنون ليلى، وجميل ابن معمر مجنون بثينة[1].

والتغزل بالمرأة كان حديث الشعراء القدماء كما هو حديث الشعراء المعاصرين فبرع فيه إمرئ القيس كما برع فيه العديد من الشعراء الآخرين لما يحمله هذا الغرض من تأثير النفوس وخاصة عند هؤلاء الشعراء .

و حسان بن ثابت كغيره من الشعراء الجاهليين اهتم بهذا الفن و ما شد ملاحظتنا و نحن نقرأ مقدمات قصائد حسان الذي نحا فيه المنهج المألوف لدى غيره و المتمثل في توخي الدقة في مخاطبة المرأة بالإضافة إلى استحضار ما يوقظ أشجانه و يثير نفسه شعورا حادا بالألم و يدفعه إلى التذكر أي تذكر المحبوبة[2].

- من الجميل أن تكون صورة المرأة بهذا الوصف الشاعري المفعم بعاطفة جياشة عند اغلب الشعراء الجاهليين إن لم نقل كلهم، ولكن الأجمل هو مكانتها الهامة بالنسبة للرجل. و يظهر هذا الوصف من خلال تلك العبارات و الصفات العظيمة التي نسبت لهؤلاء الشعراء الفحول في: **الأهوال، الجنون، الصعاب، المغامرات، الأشجان، الآلام.** فالغزل كان همزة وصل بين شاعر الجاهلية وامرأته.

و يعد حسان أشهر الشعراء المخضرمين، و شاعر الرسول صلى الله عليه و سلم، نشأ في الجاهلية و نبه شأنه فيها، و لما هاجر النبي صلى الله عليه و سلم إلى المدينة و أسلم الأنصار أسلم معهم و دافع عنه بلسانه كما دافع عنه الأنصار بسيوفهم [3] وعلى حد تعبير-أحمد الهاشمي - لكن وقبل مناقشة فن الغزل عند حسان، ارتأينا إلى تناول نشأته التي لا بد أن يكون لها أثرا على حياته الفنية.

فهو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد بن مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار الخزرجي و الخزرج هو ابن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امرؤ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأسد من بني كهلان، و أمه الفريعة بنت خالد بن خنيس الخزرجية من بني ساعده بن

1) ينظر قصي الحسين،شعر الجاهلية و شعراؤها، ص 305.
2) ينظر محمد الأزهر باي،حسان ابن ثابت شاعر الجاهلية و الإسلام، ص17.
3) ينظر احمد الهاشمي.جواهر الأدب في أدبيات و إنشاء لغة العرب،منشورات مؤسسة المعارف. بيروت / لبنان /طبعة جديدة،الجزء 2، 2001، ص 131.

كعب بن الخزرج، فهو نجارى خزرجى النسب أبا و أما ، وكنيته أبا الوليد وأبو عبد الرحمان و أبو الحسام وأبو المضرب.

ولد حسان بن ثابت عام 563 م و قد نقل بن هشام عن حسان قوله :" و الله أنى لغلام يفعة، ابن سبع سنين أو ثمان أعقل كل ما سمعت، إذا سمعت يهوديا يصرخ بأعلى صوته على أطمة يثرب ": يا معشر اليهود، حتى إذا اجتمعوا إليه قالوا : ويلك مالك ؟ قال : "طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد به."

فلما سئل سعيد بن عبد الرحمان بن حسان بن ثابت، عن عمر حسان مقدم الرسول صلى الله عليه و سلم إلى المدينة، قال: " ستون سنة و قدمها الرسول " ص" وهو ابن ثلاث وخمسين، فسمع حسان ما سمع وهو ابن سبع و ستين.

فهو إذا قد ولد قبل الرسول " ص " بما يقرب سبع سنين و مولد الرسول كان عام 571 م.[1]

إما قومه فقد كانوا سادة اليمن و أهل الرياسة فيها، و هم أبناء عمرو بن عامر، نزحوا إلى شمالي الجزيرة عند خراب سمراب، وتفرقوا فكان في المدينة منهم الأوس والخزرج قوم حسان وكان بالشام إخوتهم الغسانيون، وبالحيرة بنو عمهم اللخميون.

عاصر حسان الخلفاء الراشدين وأدرك حكم معاوية فكان بذلك واحدا من المعمرين الذين عمرو طويلا وبلغو من العمر أرذله وتكاد الأقوال تجمع على أن حسان قد عاش نحوًا من عشرين ومائة سنة، وأنه توفي أيام معاوية حوالي (54 ه-674م) ويرى **" ويلد كينه "** أن حسان عاش دون المائة وانه ولد حوالي سنة590م وتوفي حوالي 660م. قبيل خلافة معاوية، ويستند في ذلك على قصائده التي تشتعل حماسة، والتي لا تصدر عن شيخ بلغ من العمر عتيه، هذا فضلا على أنه ليس من الضروري أن تطفئ السن العالية حدة الزمن وحرارة القلب، وحماسة الخاطر فالتاريخ الحديث يطلعنا على ذلك مثلا صادقه **"برنارد شو "** الذي كان قد جاوز التسعين **و " برتراند راسل "** و **" تشرشل "** الذين كان فنهم عالي الطبقة بالرغم من كبر سنهم ضلوا مع ذلك يرسلون شواظا من نار ويفوقون فيما يكتبون حسان بن ثابت حماسة وحرارة إلتماما، وقد رأينا أن حسان كما كان يؤرخ للإسلام فكان كذلك تاريخه هو نفسه حلقة من تاريخ الإسلام [2].

فبالرغم من كبر سن هذا الشاعر إلا أنه كان ينظم قصائدًا رائعة وهو يشبه في ذلك العديد من الفنانين الآخرين ك: **برتراند راسل** و **برنارد شو** .

وقد ترك حسان بن ثابت ديوان شعر طبع مرارا منذ أواسط القرن 19 في الهند وتونس ومصر، وطبعته لجنة تذكار بتحقيق **" هيرتسفيلد "** في لندن سنة 1910 لما كان لحسان بن ثابت من مواقف خاصة من الوجهة السياسية ومن الوجهة الدينية التي دست عليه كثير من الشعر وقام بهذا العمل أعداء الإسلام. كما قام بعض كتاب السيرة من مثل ابن إسحاق. ولم يفت الأمر بن هشام (133م/ 218ه). جامع السيرة وملخصها ومهذبها، بذكر كثير مما اختلف، ودست على الشاعر. [3]

1-<u>التعريف بفن الغزل</u> :

1) ينظر احمد الهاشمي، المرجع نفسه، صفحة نفسها.

2) ينظر محمد الطاهر درويش، حسان بن ثابت، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف 1119، كورنيش النيل القاهرة، ص 8.

3)ينظر حنا الفخوري، تاريخ الأدب العربي، ط2، منقصة ومزيدة، 1953، ص14.

*- **الغزل لغة**: أجمع علماء اللغة إن الغزل، معناه التحدث إلى النساء و التودد إليهن، و تشمل مادة " الغزل " في اللغة ثلاث معاني:

I – غزل الصوف –يغزله من باب ضرب، مده و فتله خيطانًا، و منه المغزل بكسر الميم وضمها عند تميم.

ب- غزل بالمرأة – يغزل من باب فرح –حادثها و أفاض بذكرها.

ج-أغزلت الظبية –صار لها غزال، فالغزال ولد الظبية[1].

هذه ثلاث معان لكلمة "غزل " وهى كلها تجرنا إلى طرح سؤال هو :هل هناك علاقة بينها أم لا ؟

يجمع بينهما في باب واحد، وان اختلفت الغايات و تعددت السبل، إذ يوجد ارتباط وثيق بين **" غزل الصوف، "و مغازلة المرأة "، " و غزل الظبية ".**

فأصل المغازلة : الإدارة و الفتل، لإدارته عن أمر، و منه سمي المغزل لاستدارته و سرعة دورانه، و به سمى الغزال لسرعة عدوه، و سميت الشمس الغزالة لاستدارتها و سرعتها، و إذ شئنا أن نبسط هذا المعنى بعض البسط، فان الغزل بالمرأة يتطلب من الرجل أن يتحدث إليها وان يكون حديثه مؤثرا و جذابا حتى يستميلها و يستهويها إلى حبه، و هو في هذا السبيل يسلك شتى الوسائل و يركب أصعب الأمور [2] فنجده يحتال إذا وصل بالحيلة إلى غايته، و يدارى إذا نفعت المرارة، و يتذلل لها، و يتوسل إليها لعل ذلك يغنى عن الأمر شيئا، و المرأة بين هجر ووصال و تمنع ودلال ومنه الرجل أو الشاعر الجاهلي لا يحب أن يعانى من الوحدة،فهو يخاف منها لذا كان لا بد عليه أن يعيش حياته مع الطرف الثاني (المرأة)لان في ذلك تلبية لمتطلباته و رغباته النفسية. فما كان له إلا أن يستميل المرأة بشتى الوسائل و الطرق للوصول إلى قلبها. فكان الشاعر يتغزل بمفاتنها و بمحاسنها ويصف حسنها و جمالها من اجل التقرب منها و نيل حبها، ولا تكاد تلقاك باسمة المحيّا فتنعم بهذا الرضا حتى تنقلب عابسة الوجه مقطبة الجبين، فتشقى بهذا العبوس أضعاف ما نعمت بأسباب الرضا و الابتسام أليس ذلك فتلا و دورانا ؟

يشبه ذلك المغزل في لفه و دورانه ؟

ثم ألا يشبه الغزال في عدوه السريع و نفوره الجامح ؟

ثم ألا يشبه " الشمس " وهى في طلعتها تشرق علينا بالنور وفي غيبتها تسترسل غياهب الظلام ؟ ونحن بين الطلوع و المغيب نسعد كما نسعد بالمرأة التي نحبها إن رضيت، أو نشقى بها إن هجرت و تمنعت.

*- **الغزل اصطلاحا:** اصطلاحا هو: التحدث إلى المرأة و التودد إليها. وإذا شئنا أن نحلل هذا المعنى وجدناه يشمل ثلاثة أركان :

الركن الأول: الرجل الذي يتحدث و يتودد.

الركن الثاني: المرأة التي تسمعه و تتودد إليه.

---

1) حسان أبو رحاب، الغزل عند العرب مكتبة الثقافة الدينية..526شارع بور سعيد- الظاهر. ص.ب 21 الظاهر- القاهرة ص8،7.

2) حسان أبو رحاب، المرجع نفسه، صفحة نفسها.

الركن الثالث: الحديث الذي يقوم بين المرأة و الرجل **و** يحمل ما يكون بينهما من أسرة الحب و المودة.[1] فإذا وجدت هذه الأركان الثلاثة – كان الغزل -.

وعبر الغزل بألفاظ كثيرة توافق هذه المعاني الجمة التي عرض لها الشعراء و توافق هذه العاطفة الثائرة، وما يتصل بها من لوعة و حرقة و أنين من هذه الألفاظ : **النسيب، التشبيب، العشق، الحب، الغرام، الهوى، الوجد، الصبابة، الهيام، الشغف، العلاقة، اللوعة، التيم، التبل، التدليه**[2]**.**

فأما النسيب و الغزل فهما شيء واحد عند بعض النقاد، أما فيما يخص الألفاظ المتبقية فتعتبر درجات الغزل.

لا تخرج هذه الألفاظ و سائر ألفاظ الغزل عن معان ثلاث هي:

1- التحدث إلى المرأة و التودد إليها.

2- العلاقة التي يتركها هذا الحديث و مدى قوة و ضعف هذه العلاقة.

3- أثار العلاقة و تعدد نواحيها.[3]

- فالغزل هو نتيجة للقاء الرجل بالمرأة، ولو لم يكن هذا اللقاء ما كان الغزل ولا كان الحديث، ولا كان وصف اللقاء و الوداع. وما في اللقاء من ذكريات و شؤون وما في الوداع من حسرة و أنين.

وان لم يكن اللقاء ما كانت النجوى ولا كان عتاب و ملام ولا عرف الرجل في المرأة مواضع دلالها و حسنها و جمالها و فتنتها. ولا خاض شعره يصف ذلك كله وما يمنع هذا الوصف من فنون.

2-اتجاهات الغزل:

1-الاتجاه الحسي: و يندرج تحته نوعان من الغزل: الحسي الفاحش وغير الفاحش.أكثر الشعراء في الأول من التغزل بالنساء. ووصفهن أو وصف مفاتنهن و تشبيههن بأشياء مادية حسية نابعة من صميم البيئة الجاهلية و طبيعتها و مكوناتها، وقد كان هذا النوع هو السائد في الغزل الجاهلي، و قلما خلا منه شعر شاعر. و من الأمثلة عليه قول " المسيب " يصف خد صاحبته و ثغرها :

إذ تسبيك باصلتى ناعـم ** قامت لتفتنه بغير منـع

ومها يرف كأنه إذ ذقنــه ** عانية شجت بماء يـراع [4]

أما فيما يتعلق بالوصف المعنوي للمرأة في الغزل الجاهلي فقليل لا يكاد يوحى باهتمام الجاهلين به كاهتمامهم بالجانب المادي بالنسبة للجانب الفاحش فكان من أبرز شعرائه امرؤ القيس والأعشى، و غيرهم من الشعراء مثل : سعيد عبد بن الحساس و طرفه،والمنخل، وعمر بن أبي كلثوم، وفي هذا النوع صراحة وجرأة وحديث عن المغامرات والقصص الجريء الفاحش مما يتنافي مع ما عرف عن الجاهليين من عادات وتقاليد.

وهذا زعيمهم امرئ القيس لا يمل الحديث عن مغامراته التي خلفها في معاتقه عن دخوله الخدر، وعن مواصلته حتى الحبالى المرضعات وفي غير المعلن يقول :

---

1) ينظر حسان أبو رحاب،الغزل عند العرب، ص8- 10.
2) ينظر حسان أبو رحاب، المرجع نفسه، ص 10-16.
3) ينظر يوسف حسين بكار، اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري، دار الأندلس للطباعة و النشر و التوزيع ط2 (1402 هـ -1921 م). ص 45-46.
4) ينظر يوسف حسين بكار. اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري. ص 45-46

ويا رب يوم وقد لهوت وليلــة * بآنسة كأنها خـط تمثــال**

إذا ما الضجيع ابتزها من ثيابها * تمييل عليه هونه غير مجيــال**

سموت إليها بعدما نام أهلهــا * سمو حباب الماء حالا على حـال**

2- الاتجاه العفيف : لقد وجد الغزل العفيف في الجاهلية كان قل كماّ مما كان عليه عند غدري الأمويين، وإذ هو ليس وليد العصر الأموي كما يذهب عدد من الدارسين المعاصرين.إذ يمكن عده نواة واصلة للاتجاهين العفيفين في العصرين الأموي والعباسي، وليس ينكر أنه ازدهر واستوى على سوقه في العصر الأموي، ثم اكتملت له سماته المميزة واستقرت تقاليده ومقوماته التي اكتسب معها صورته الأخيرة وشكله النهائي الثابت أما شعرهم فبالرغم من قلته بالنسبة لنظائره الأمويين فيدل على حب مخلص وعواطف صادقة ومشاعر ملتهبة، وهذا مرقش الأصغر يقول :

أفاطم لو أن النساء ببلدة ** وأنت بأخرى لاتبعتك هائما[1]

2- ماهية الغزل وتجلياته في العصر الجاهلي :

لا شك أن الغزل كان فنا أصيلا منذ العصر الجاهلي، وليس أدل على ذلك من كون الإرث الشعري الذي خلفه لنا الشعراء الجاهليون يكاد الغزل يشغل المكانة الواسعة فيه، فدواوين الجاهليين المختلفة تضعنا أمام هذه الحقيقة الواضحة، وهي أن كثرة كثيرة من الشعر الجاهلي الذي وصل إلينا، تكاد تكون قاصرة عن الغزل أو متصلة به لسبب، وان الأغراض الأخرى جميعا من الفخر والمدح والهجاء والرثاء لا تعدو أن تكون قسيما لشعر الغزل.

بالإضافة إلى كثرة الشعراء الغزليين التي فاضت قرائحهم بما ألهموا به من شعر الغزل الذي ملأ ديوان الشعر الجاهلي وقد ذهب بعض النقاد إلى ربط جميع فنون وأغراض الشعر العربي بالغزل لأن هذه الأشعار بكليتها كانت تبعثها روح الحب وعواطف الهوى مما يجعلها تتصل بالغزل اتصالا حميما، فالفخر الذي أنشده عنترة لم يكن بعيدا عن ولع الغزل بل كان هو منبته ومصدره.

إذ أن الشاعر لم يكن يفتخر للفخر، وإنما كانت محبوبة الشاعر (عبلة) وديارها ملئ ذهنه، وملء قلبه كذلك، فكانت هي مبعث الغزل إذا تغزل ومبعث الفخر إذا افتخر [2]. وهذا ما نلاحظه في فخرية لحسان كان مطلعها غزليا دقيق الوصف لمفاتن النضيرة " بنت القصور كلن مطلعها:

حي النضيرة ربــة الحذر * أسرت إليك ولم تكن تســري**

فوقفت بالبيداء اسألهــا * إني اهتديت لمنزل الشعــر**

والعيش قد رفضت أزمتها * مما يرون بها من الفتــر[3]**

هذا ما يبين الصلة الوثقى التي كانت تقوم بين شعر الغزل وسائر أنواع الشعر الأخرى.

كما يرى النقاد أن استهلال معظم الشعراء قصائدهم بالنسيب أو الغزل أو الوقوف على الطلل، كانت تقف وراءه أكثر من حاجة فنية ونفسية. إنها حاجة الشاعر لاستقطاب جمهوره، وشد أسماعهم إلى أشعاره، ولعلنا لا نبارح الحقيقة إذا قلنا إن شعر الغزل عند الجاهليين كان أكثر الإجابات الفنية صدقا لأن رصيده من الواقع وكان أكثر تماسكا مع حياة العربي الذي لم يرض أن

1) ينظر يوسف حسين بكار، اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري، ص50..
2) ينظر قصي الحسن، شعر الجاهلية وشعراؤها، ص 330-331
3) ينظر خليل شرف الدين، حسان بن ثابت الأنصاري، من الحرية إلى الالتزام، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ص 125.

يؤسس شعره الغنائي بألوانه المختلفة إلا على ذكر المرأة مؤكدا بذلك صلتها القوية بروحه، وذلك حين جعل منها فاتحة شعره ومفتاح الإلهام والأحلام في تاريخ فنونه. ومع ذلك لم يعرف عن شعراء الغزل أنهم قدموا قصائد مستقلة في هذا الفن،بل ذهبوا إلى مزجه بكل غرض فألموا به في كل مواطن المديح أو الهجاء أو الفخر أو حتى الرثاء ولم نقع على قصيدة مستقلة بالغزل سوى قصيدة واحدة للمرقش [1] .

أي أن كل أشعار هؤلاء لم تستقل بغرض واحد و إنما كانت مزيجا بين عدة أغراض، و هذا ما نلاحظه في شعر حسان، فجل شعره كان مزيجا بين مطالع الغزلية و فخرية، و أيضا أشعار غيره.

وجملة القول أن هذا الفن كانت له مكانته وشهرته كباقي الفنون الشعرية القديمة. بالإضافة إلى الصلة الوثقى التي كانت تقوم بين هذا الغرض وسائر أنواع الشعر الأخرى وبنظرنا أن شعر الغزل غدا بمثل هذه الوفرة الوافرة في ديوان الشعر العربي منذ العصر الجاهلي لما تميز به من صدق وعفوية ولأن رصيده كان من الواقع.

3-غزل حسان بن ثابت في الجاهلية :

لم يكن حسان بن ثابت في شبابه زير نساء، كامرئ القيس مثلا ولا كان حصورا كابن المعطل، وكان على قدر من الجمال أي جمال الطلعة، ملفت لفتيات المدينة حيث ترعرع وجلف، وعاش أكثر أيام شبابه. وصفه الرواة بأنه كان ذا لحية سوداء (أو غرة) قد سدلها بين عينيه، وعثون مخضب بالحناء لكي يبدو كما قال لابنه كأنه أسد والع في دم، أميل إلى الطول منه إلى القصر.

هذا من حيث الشكل والهندام، أما من حيث الموضوع أو الصفات والشمائل فقد كان كريم العنصر، طيب الأرومة، نبيل النفس، وفيه حاضر النكتة يتميز بجرأة أدبية ملحوظ، فكيف به مع النساء! ناهيك عن قريحته الفياضة، و شاعريته الموروثة، عن أبائه و أجداده الذين كانوا كلهم شعراء....وحتى أخته وابنه وابنته.

إذا: سباب ريان، وشاعرية ومكانة، وغنى....فماذا ينقصه كي لا يفتك و يشبب و يلهو ؟ لاشيء سوى أن يكون فضا غليظا مع الفتيات.لا يحسن الحديث الهين، أو التغزل بهن، أو أن لا يكون قد أحب فعلا.....

ولا نؤكد، وعذرنا أن آثار حسان الجاهلي من غزل وخمر ومجون شحيحة جدا.....ربما طمسها الرواة كي لا تنسب لشاعر أصبح في الإسلام، شاعر الرسول الأول. والناطق باسم الدين الجديد، أمام المشركين، و ربما كان ذلك عن عمد فنحن نقلب أخباره في الأغاني فلا نجد له شيء من هذا القبيل، و كذلك في المراجع القديمة الأخرى و هذا ديوانه، و شرح ديوانه ليس فيهما ما يغنى.. إذ لا يعقل أن يكون شاعر كحسان توفرت له في الجاهلية كل أسباب الفتك و المجون و العربدة، ولا يفتك أو يعربد أو يحب ثم يصف كل هذا شعرا [2]. ومنه، بالرغم من حياة الترف التي عاشها الشاعر في جاهليته إلا أنه لم ترد إلينا قصيدة تصف مجونه و عربدته إلا ما كان قليلا جدا، فغزله تقليدي. وربما يرجع هذا إلى كونه لم يحب فعلا. أو لأنه لا يحسن التغزل بالفتيات، وربما يعود لقلة المراجع التي تتحدث عن غزله الماجن لأنه أصبح شاعر الإسلام و شاعر الرسول صلى الله عليه و سلم و لم يحبذوا أن يشوهوا صورته أمام المتلقي المسلم. لكن ذلك لايمنعنا من ذكر واحدة أشار إليها "الأغاني" و هي مبيته في خمارة مع الأعشى وهذا يثبت ما جاء في ديوانه أو

1) ينظر قصي الحسين، شعر الجاهلية وشعراؤها، ص 307-308.
2)ينظر خليل شرف الدين، حسان بن ثابت النصارى، من الحرية إلى الالتزام. ص 123، 124.

شرح ديوانه مع الغزليات، وهو قليل جدا، ولا نقف على ما جاء في مطالع محياته أو فخرياته من غزل تقليدي ولو ورد فيه اسم صاحبته شعثاء....

يقول حسان وهو يصف همومه الليلية بعد هجر شعثاء له :

تطاول بالخمان [1] ليلى، فلم تكن ** تهم هوادى نجمه أن تصوبـا

أبيت أراعيها كانى موكـــل ** بها لا أريد النوم حتى تغيـبا

إذ غار منها كوكب بعد كوكـب ** تراقب عيني آخر الليل كوكبـا

غوائر تترى في نجوم تخـالها ** مع الصبح تتلوها زواحف لغبا

أخاف مفاجأة الفراق ببـغتة ** وصرف النوى من تشتت وتشعبا

و أيقنت لما فوض الحي خيامهم ** بروعات بين يترك الرأس اشيبا

و أسمعك الداعي الفصيح بفرقـه ** و قد جنحت شمس النهار لتـغربا

و بين في صوت الغراب اغترابهـ ** عشية أو في غصن بان فطـربا

و كدت غداة البين يغلبني الـهوى ** أعالج نفسي أن أقوم فـاركبا

وكيف لا ينسى التصابي بعـدما ** تجاوز رأس الأربعين و جربـا

و قد بان ما يؤتى في الأمر وأكنست ** مفارقه لونا من الشيب مغربـا [2]

أنجمع شوقا أن تراخت بها النـوى ** و صدا إذا ما استعبت و تجنبـا

إذا انبت أسباب الهوى و تصدعت ** عصا البين لم تسطع لشعثاء مطلبا

وكيف تصدى المرء ذي اللب للصبا ** و ليس لمعذور إذا ما تطربـا

أطيل اجتنابا عنهم غير بغضـة ** و لكن بقيا رهبة و تصحبـا [3]

فهذه القصيدة رغم أنها غزلية إلا أنها تخلو من مجون الجاهلية فهي غزلية عادية لشاعر هجرته حبيبته بعد أن بلغ الأربعين.

4-مواقف النقاد من شعره الجاهلي :

إن حسان فحل من فحول الشعراء وهذه قضية لا يتمارى فيها شاعر ولا يختلف فيها اثنان، فأنت من أي النواحي أتيته وجدته شاعرا كسائر شعراء الجاهلية الفحول، أما من جهة الطبع فحسان شاعر مطبوع و ندل بذلك أنه مغرق في الشعر، فأبوه شاعر، وجده شاعر، كما أن ابنه و ابنته و حفيده شعراء، و حسان منهم واسطة القلادة و بيت القصيد،فقد هجا و مدح وافتخر و شبب و رثى ووصف و هام في كل واد.و تصرف في سائر فنون الشعر و لم يقصر.

1) – الخمان : موضع بالقرب من دمشق.
2) –المغرب:الأبيض.
3) – ينظر خليل شرف الدين، حسان بن ثابت الأنصاري من الحرية إلى الالتزام،ص 124.

يقول الأصمعي : " الشعر نكد بابه الشر، فإذا دخل في الخير ضعف و هذا حسان فحل من فحول الجاهلية فلما جاء الإسلام سقط شعره."

وقال مرة أخرى: " شعر حسان من أجود الشعر في الجاهلية، فقطع متنه في الإسلام لحال النبي صلى الله عليه و سلم.

و يقول الأصمعي أيضا: " شعر حسان من أجود الشعر في الجاهلية ".

و يقول أيضا: " حسان بن ثابت آخر فحول الشعراء ".

و قال أبو عبيدة : " أجمعت العرب على أن حسان أشعر أهل المدر ".فهؤلاء الشعراء أجمعوا أن حسان أشعر أهل المدر و أنه فحل من فحول الشعراء ووافقهم الأصمعي، إلا أنه ذكر بعد ذلك أن شعر حسان ضعف وَلان لأنه دخل في باب الخير، و مثل بباب الخير مراثي النبي وحمزة و جعفر وغيرهم [1].

و هنا اتفق كل من الأصمعي و أبو عبيدة علي أن حسان أشعر الشعراء في جاهليته و أيضا في إسلامه، و ما دخله من لين إلا لتهذيب و أيضا لما سلكه حسان في شعره من مدح للرسول صلى الله عليه و سلم و مدح صحابته.

كما أن حسان شديد التأثر قوى العاطفة. يفوته التأني الزهيري، و لهذا نرى شعره يتدفع تدفعا متتبعا في ذلك الطبع و الفترة لا الصنعة و التعمل ومن ثم تلقى شعره خاليا من كل ما يتطلب النظر الهادي المتفحص فشعره الجاهلي عموما لا يخلو من الوصف و التمثيل، ولا يخلو أيضا من الاندفاع العاطفي العنيف، و الصدق. و انتفاض العصب في الأبيات التي تنطلق غير مرة كالسهام أو كالسيل الذي يجرف السخط و الهيجان [2] و فضلا عن هذه القيمة الفنية، نرى أن هناك قيمة تاريخية كبرى، فقد كان منصرفا شأنه شأن غيره من الشعراء الجاهليين إلى الذود في خياض قومه بالمفاخرة، فكان شعره شعر النضال القبلي تغلب عليه صبغة الفخر الذي يقوم على ذكر الشجاعة و الكرم، و شرف الأصل و النسب بعد مقدمة غزلية على ما عهدنا عند الأقدمين.

خلاصة القول أن هذا ما كان من حسان في شعره قبل إسلامه فخر و هجاء و غزل ووصف الخمر و الاستمتاع بالغناء و ما يتبعه من لهو و عبث، فحق للجاهليين أن يفتخروا به، و حق له أن يتناقلوا شعره جيلا بعد جيل، في سياق ضمن له الخلود، و حق للنقاد أن يقولوا أن حسان سلسبيل، شعر فياض سريع الخاطر، غمر البديهة، خصب الذهن، لم تنضب قريحته حتى جاور ربه.[3]

1) ابن قتيبة الشعر و الشعراء، تحقيق و شرح احمد شاكر، الجزء الأول.ذخائر العرب 55 دار المعارف 1119.كورنيش النيل القاهرة ص 305.
2) ينظر، يوسف عيد، شرح الديوان، دار الجليل، الطبعة الأولى1992، ص 08.
3) ينظر، يوسف عيد، المرجع نفسه، ص 09، 10.

I) تحول رؤية حسان في شعره :

مقدمة:

هل صحيح أنه لم يكن من الشعراء الفحول البارزين، عند ظهور الإسلام غير الحطيئة و الأعشى ؟ و هل عانى الشعراء المخضرمون فعلا أزمات نفسية و فنية وهم ينتقلون من حقل إلى حقل آخر، ومن جو الحرية إلى جو الانضباط ، ومن جو الوثنية إلى جو الإيمان و الوعي ومن جو العفوية إلى جو التقيد الصارم بتعاليم محددة ؟ و هل صحيح أن مواجهة الشاعر المخضرم للمجتمع الجديد كانت مواجهة سريعة فرضت عليه إما التكيف السريع كما عند حسان أو الصمت التام كما تذكر الرواية عن لبيد، أو المضي على طريق الشعر الجاهلي.

إن التحقيق الدقيق لشعر حسان يمكن أن يوضح الأجوبة و يقارب الحقيقة فالقضية المهمة في هذا السياق هي التزام حسان بالإسلام وهذا الالتزام دعاه إلى الكفاح بالشعر تأييدا للإسلام و مبادئه فكان على حسان أن ينسى ستين سنة من جاهليته، و النسيان صعب، واللاوعي من المرء لا يموت، إذ كان عليه أن يتقيد بالتشريعات الجديدة التي فرضها الإسلام حيث قال عمر بن الخطاب :"وقد هدم الله أمر الجاهلية بما جاء في الإسلام."

هذا و كان بعض شعر حسان يغضب الرسول صلى الله عليه وسلم لان فيه ارتدادا إلى النزعة القبلية، و ذلك عندما هجا جهجاه بن سعيد العقاري القائل عن الأنصار "آويناهم ثم هم يقاتلوننا." فلم يرض الرسول فقال صلى الله عليه و سلم له:"يا حسان نفست على إسلام قومي[1].

فالحادثة هنا أساسية في فهم الحدود التي قربت حسان من الرسول فكل ما له علاقة بالإسلام مقدم على الشعر في ذاته.[2] ومن هنا نفهم أن حسان كان يشجع المسلمين على الجهاد والقتال والانتصار للدين.

***إسلام حسان بن ثابت :**

طبول الإسلام لم توقظ حسان من غفوته، لكن نبأة خفية من جانب قومه نبهته إلى ذلك، حين علمت قريش خبر العقبة الثانية والقوم الذين بايعوا الرسول عندما أسرعت في أثارهم أدركت منهم سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو بن خنيس من أخوال حسان، فلما سمع حسان هذا الخبر أنتبه كأنما أصابته طعنة نافذة، لا مشيدا بالإسلام ولا ناكرا له ولا مدافعا عنه وعن عشيرته الذين أسلموه ولكن ثائرا لقومه مشيدا لصاحبيه قائلا :

لست إلى سعد ولى المرء منذر ** إذا ما مطايا القوم أصبحن ضمرا [3]

والمتتبع لحوادث إسلام الأنصار وهجرة الرسول لا يغيب عنه أن إسلام حسان كان مع السابقين من الخزرجيين الذين سمعوا من قومهم عقب عودتهم من بيعة العقبة الأولى، فهو شاعرهم السباق إلى كل ما يسبقون إليه، وإنما كان قعوده عن العقبتين لشيخوخة بدأت تدب في جسمه عند رأس الستين من عمره أو لعلة أصابته [4]، وقد وجد حسان نفسه مسوقا إلى التفكير في الدين الجديد وخاصة بعدما رأى من تأييد قومه له واندفاعهم إليه، خاصة بعد أن آخى الرسول" ص" بين المهاجرين والأنصار وآخى بين عثمان بن عفان وأوس بن ثابت أخو حسان، ولا شك في أن حسان عندئذ قد

---

1) ربيعة أبي فاصل. حسان بن ثابت الأنصاري شاعر الإسلام. دار العلم للملايين – بيروت –لبنان، ط1 1993، ص24.

2) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

3) محمد طاهر درويش، حسان بن ثابت، ص 80.

4) محمد إبراهيم جمعة، حسان بن ثابت، دار المعارف لمصر 1، كورنيش النيل، القاهرة،ج،ع،م،ص31.

اهتز لما أصاب قومه من كرامة بنزول الرسول في دورهم، ونزل عثمان على أخيه أوس، فدخل فيما دخل فيه قومه من الإسلام كما أسلمت أمه وبايعت.

بعد ذلك نصب الشاعر نفسه للدفاع عن الدين الإسلامي الجديد والرد على أنصار القديم وقد نشبت بين الطرفين معارك لسانية حامية، فتغير شعر حسان و لم يعد شعر مديح أو هجاء أو غزل فقط بل كان للدفاع عن سلطة دينية جديدة تحتاج إلى الدعم والمؤازرة في بادئ الأمر ومن ثم اصطبغ هذا الشعر بصبغة سياسية حقيقية.

وبعدما رأى الرسول صلى الله عليه و سلم ما رآه من حماسة هذا الشعر في الدفاع عن الدين الجديد، وبعدما إحتاج الرسول إلى من ينصره بلسانه لأن شعراء قريش كانوا يؤذون الرسول والمسلمين بهجائهم،حاول أن يجد الرسول (ص) من ينصره بلسانه وهذا ما دفعه للقول ما تمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم إن ينصروه بألسنتهم فينبري حسان قائلا أنالها، ثم يأخذ بطرف لسانه ويقول : والله ما يسرني به مقول بين بصرا وصنعاء، فقال الرسول(ص): " كيف تهجهم وانأ منهم " فقال " إني أسلك منهم كما تسل الشعرة من العجين."[1] وهذا ما جعل الرسول" ص" دائم الثناء على حسان ولو أن نصيبه من الجهاد كان مقتصرا على الشعر.

1- الغزل عند حسان بن ثابت في الإسلام :

لم يزل حسان يتغنى بالشعر، وربة الشعر تطاوعه في جاهليته وإسلامه حتى ملأ به الأسماء وأجمعت العرب على أنه أشعر أهل المدر، وشعره كشعر غيره يجمع بين صورتين فنيتين صادقتين للشعر إحداهما جاهلية وأخرى إسلامية تعد مظهرا قويا لتأثر الأدب الإسلامي بالقرآن الكريم والحديث وأحداث الإسلام وعقائده، فقد دعا حسان إلى التغني بالشعر في قوله :

تغنى بالشعر أما أنت قائله ** إن الغناء لهذا الشعر مضمار[2]

والغزل كغيره من الأغراض إذ ضل حب الجمال والتطلع والتقرب من المرأة والتغزل بها حاجة النفس البشرية، ونجوى الأرواح وحديث القلوب وسيضل كذلك ما بقيت الدنيا، وما بقيت بها قلوب تخفق، وأرواح تهفو يستوي في ذلك العالمون والجاهلون ويلتقي عنده الصالحون والطالحون وقد تعود الناس منذ بعيد أن تكون دموعهم وزفراتهم عن وجدهم ترجمانا وأن يرسلوا نفثات شجوتهم أغاني وألحانا، وأن يجعل الشعراء منهم النسيب والتشبيب والغزل لكتاب شعرهم عنوان، وان يزينوا مطالع قصيدتهم به ويفتنوا في ذلك إفتانا.[3]

أي أن غرض الغزل ظل كغيره من الأغراض الأخرى مرتبط بالنفوس البشرية لما يحمل من أحاسيس و مشاعر كما دأب عليه الشعراء من قبله.

جارى حسان الجاهليين في الغزل، فحاكاهم في المعاني والتشبيب، وإبتدأ القصائد بالنسيب، وتأثر بالإسلام فهذبه وحد منه، وإكتف بما لا فحش فيه ولا خطر له، وأكثر غزله يفتقر إلى صدق العاطفة لأنه لا يصدر عن حب صادق، أو لأن المحاكاة هي التي أنشدته وقد يكون صدق هواه ضاع فيما ضاع من أخبار شعره في صباه، وأن بعض أبياته تؤيد ذلك، ويدعو إلى التريث في الحكم على صدق عاطفته في غزله.[4].

---

1) عبد الرؤف دقاق أمراء الشعر العربي – حسان بن ثابت – مراجعة محمد أمال، دار الربيع للنشر،سوريا حلب 2006 ص12.

2) محمد إبراهيم جمعة، حسان بن ثابت، ص 35.

3) يوسف عيد، ديوان حسان بن ثابت، دار الجبل بيوت، 1992، ص80.

4) ينظر محمد إبراهيم جمعة، المرجع السابق، ص51.

إذ أنه يذكر فيها شرخ الشباب، و سوابق الحب حيث يقول:

إن شرخ الشباب و الشعر الأسود ** ما لم يعاص كان جنونا

ما التصابى على المشيب و قلبت ** من ذلك اظهرا و بطونا[1]

وهى من مقطوعاته التي انفردت بالغزل .

و حسان وإن قل شعره الغزلي مازال ينسب و يتغزل و يذكر أحبته و ما يعتاده من شوق و حنين، فنلمح من غزل حسان الإسلامي آثار ذلك الحب الدفين ماثلة، و نشعر بما يخالطه من لذة حيــن يستعيد أطيافه. كما نلمح في البعض الأخر غزلا تقليديا يسوقه في مطلع شعره كعادته في الجاهلية بمساءلة الديار و الأطلال، وهو في هذا يسير على منهجه الجاهلي، إذ لم يختلف عنه إلا بالتخلي عن ذكر محاسن المرأة بصورة مغرية، وألفاظ ماجنة. انظر كيف ترى جمال قوله في الحديث عن محبوبته الدرة المكنونة الحسناء، الحفرة الخفيضة الصوت، التي أورثته سقما حين زارته في المنام بقوله :

تبلت فؤادك في المنام خريدة ** تسقى الضجيع ببارد بسـام

كالمسك تخلطه بماء سحابة ** أو عاتق كالدم الذبيح مدام

نفج الحقيبة بوصفها متنضد ** بلهاء. غير وشيكة الأقسام

**بنيت على قطن احم كأنــه ** فصلا إذا قعدت مداك رخام [2] **

و من قصائده التقليدية في مدح المصطفي صلى الله عليه و سلم، وهجاء أبى سفيان، هذه القصيدة التى يبدأها بمقدمة غزلية عن شعثاء التي تيمته إذ يقول :

**عفت ذات الأصابع فالجواء ** إلى عذراء منزلها خلاء [3] **

ديار من بني الحسحاس قفر ** تعفيها الروامس و السماء

و كانت ليزال بها أنيــس ** خلال مروجها نعم و شاء

**فدع هذا، و لكن من لطيف ** يؤرقني إذا ذهب العشاء[4] **

لشعثاء التي قد تيمتــه ** فليس لقلبه منها شفاء

**كان سبيئة من بيت راس ** يكون مزاجها عسل و ماء [5] **

على أنيابها.أو طعـم غض ** من التفاح هصره الجناء

إذا مالاستربات ذكرنا يوما ** فهن لطيب الراح الفداء

نوليها الملامة، إن ألمنا ** إذا ما كان مغث أو لحاء

و نشربها فتتركنا ملوكا ** و أسدا ما ينهنهنا اللقاء

---

1) ينظر محمد إبراهيم جمعة ،المرجع نفسه، نفس الصفحة

2) يوسف عيد، شرح ديوان حسان بن ثابت ص 82.

3) ذات الأصابع و الجواء : موضعان في الشام.

4) شعثاء : اسم امرأة.

5) السبيئة :الخمر.

عدمنا خيلنا، إن لم ترها ** تثير النقع، موعدها كداء

يبارين الأعنة مصعدات ** على أكتافها الاسل الظلماء

تظل جيادنا متمطرات ** تلاطمهن، بالخمرو النساء

فأما تعرسوا عنا اعتمرنا ** وكان الفتح، وانكشف الغطاء

وإلا فاصبروا لجلاد يوم ** يعز الله فيه من يشـــاء

و جبريل أمين الله فينا ** و روح القدس ليس له كفاء [1]

هذه القصيدة مطلعها غزلي أيضا،فحسان هنا يتغزل بشعثاء التي كان يعرفها في جاهليته ،إلا أن غزله قد خلا من تلك الصور التي كان يحملها الشعر الجاهلي ، لما تطرق إليه في الأبيات الأخيرة من مدح ،و ما نلاحظه أيضا ذلك المزج بين غرضي الغزل و المدح في قصيدة واحدة،و هذا ما تقبله الرسول أيضا.

ومن المعروف أن شعراء الغزل كانوا مغرمين بشرب الخمر فهم يتغنون في شعرهم ويصفونها، وحسان واحد من هؤلاء الشعراء الذين كانوا مغرمين بشربها في الجاهلية، و الحق أننا لا نجد حسان الشاعر في الإسلام، كما نجده في جاهليته، لقد ضاع في الإسلام و تبدد تحت وهج الحدث، ولم يستطع أن يصمد. قال شعرا كثيرا في النبي و دعوته و دعاته.[2]

ففي جاهليته ظل شاعرا موصول الكيان بالزمان و المكان و الأشخاص لصيقا ببيئته و أشيائها، ذائبا في صميمها، وإن لم يرفضها، يتحدث إليها و تتحدث إليه في مناجاة، و حب و مشاركة، لم تشخ شاعريته بعد ولم يذو شبابه.تقبل الحياة الحضرية بلا شروط و تذوق لذائذها بلا قيود و شرب الخمرة مع كبار شاربيها بلا تحريم. أحب و فتك وعربد ثم صاغ كل هذه التجارب شعرا.

و جاء الإسلام فاستبدل خمرة بخمرة، خمرة مادية بخمرة روحية غير إن هذه الخمرة الروحية لم تفعل فعلها فيه، بعد أن خضب عوده أو كاد، و جف حلقه، و تبلد ذهنه، و تلهى بسفساف الهجاء الأخلاقي، لم يعد في الإسلام يرى الأشياء بوضوح شح بصره، ثم غار.

وخمدت بصيرته ثم بارت كان له في الجاهلية شيطان مريد هو الشيصبان يوحى إليه و يستوحي منه رموز الشر و الفتك والخمرة و الهجاء، أما في الإسلام فقد بطلت أسطورة الجن التي توحي، واستبدل وحى بوحي[3]

هو وحي السماء هذه المرة الذي ينزل الآيات تنزيلا على النبي، وحل محل الشيصبان جبريل والملائكة الذين يسبحون الله بكرة و أصيلا، فلم يقرب حسان الخمرة في إسلامه، وبرئ منها فمه و لسانه.وله في ذلك شعر قوى رصين قائلا :

إن التى عاطيتها فرددتها ** قتلت قتلت فهاتها لم تقتل

كلتاهما حلب العصير فعاطنى ** بزجاجة أرخاهما للمفصل

1) يوسف عيد ، ديوان حسان بن ثابت ، ص 7، 8.
2) ينظر محمد إبراهيم جمعة،حسان بن ثابت ص 51.
3) خليل شرف الدين، حسان بن ثابت، شاعر الجاهلية و الإسلام ص 112.

فحسان لم يتوقف من شعره الغزلي في الإسلام بل حد منه، وهذبه و اكتفي بما لا فحش فيه.و كما سبق القول فشعره الغزلي، قد افتقر إلى صدق العاطفة لأنه لم يصدر عن حب صادق، فهو شاعر النبي صلى الله عليه و سلم في النبوة، و شاعر اليمن كلها في الإسلام. وقد تغنى في شطره الإسلامي من حياته بمآثر النبي و بطولات حوارييه، و هاجم بخبرة و لباقة وشدة أعداء المسلمين فأرضاهم كما يجب. ولكنه لم يرض الشعر الذي سقط بعض منه عند مجيء الإسلام.و لهذا نجده يجيب عندما سألوه : **" لما لان شعرك في الإسلام ؟ ".**

يقول حسان :**"ياابن أخي إن الإسلام يحجز عن الكذب، و إن الشعر يزينه الكذب يعني أن شأن التجويد في الشعر الإفراط في الوصف و التزيين بغير حق "**

وهذا ما يجعلنا نقول أن حسان قد حرص بعد إسلامه على شعر نظيف خال من الكذب بعيد عن الإفراط في التزيين بغير حق، حتى و لو كان غزلا فهو قريب من الصدق والإخلاص بعيد عن بواعث الشر كالتشبيب بالنساء.والنشوة بالخمر، وعصبية الجاهلية.

ولعل أهم القضايا التي شغلت اهتمام النقاد في شعر حسان الجاهلي والإسلامي قضيتين أساسيتين هما:

*** قضية اللين في إسلامه :**

ينسب النقاد غلبة السهولة واللين على إسلامياته، إلى شيخوخته وكثرة ما دس عليه أو ارتجله في الإسلام، وانبهاره ببلاغة القرآن وإستحذائه أمام قوة أسره للنفوس وإفحامه لأرباب البيان فهان ولان أمام روعة القرآن.

وذكروا أن اللين قد مس بعض المعاني الإسلامية الجديدة غير المألوفة في الجاهلية لأن القول فيما ألف الناس القول فيه أسهل من القول في الجديد غير المألوف، أو لكثرة ما خالطها من ألفاظ الإسلام وأحداثه، كما ذكروا أن شاعرية حسان تقل وضوحا وقوة في الإسلام عنها في الجاهلية لأن الشعر في هذا العصر أصبح وسيلة عملية لا هدفا فنيا، وأن حسان صار من مجموعة أنصارية. يقف شعره على ملاحاة المشركين والدفاع عن رسول الله "ص". يقوم كل منصبا بنصيبه في الغرض المشترك.

وقالوا أيضا:" إن الإسلام أبطل كثيرا من بواعث الشر كالتشبيب بالنساء والنشوة بالخمر، وعصبية الجاهلية، وحب الانتقام، والهجاء المفحش، مما يهيج الشاعر، ويلهب شعوره، فتجيش نفسه بقوة الشعر إذ قال الأصمعي **" أن الشعر نكد يقوى في الشر، ويضعف في الخير"**[1].

أي بعد مجيء الإسلام لان و تهذب الكثير من الشعر فلم يعد هؤلاء الشعراء يتغزلون كما جرت العادة في الجاهلية كما لانت أيضا أشعارهم كالنشوة بالخمر و العصبية ، و كل هذه الأشياء هي بواعث للشر يقوى بها الشعر.

*** قضية نفي اللين في إسلامياته :**

إن من يتعمق في ديوان حسان يجد أن فحولة شعره لم تفارقه في جاهليته وإسلامه، وفي فخامته وعذوبته، ولا شك في أن ما يظهر من لين أو ضعف في بعض إسلامياته ليس أصيلا في فنه، وإنما هو عارض ساقته ظروف طارئة، أو منحول دس عليه لغرض فكاهي أو ديني.

1) ينظر محمد إبراهيم جمعة، حسان بن ثابت، ص 37.

يقول **ابن خلدون** : " أن كلام العرب الإسلاميين أعلى طبقة في البلاغة وأذواقها من كلام الجاهلية في منثورهم ومنظومهم، فإنا نجد شعر حسان بن ثابت وعمرو بن ربيعة والحطيئة.....أرفع طبقة من شعر النابغة وعنترة وابن كلثوم..... والسبب في ذلك هو أن هؤلاء الذين أدركوا الإسلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام في القرآن والحديث الذين عجز الجن والإنس على الإتيان بمثليهما، فكان كلامهم في نظمهم ونثرهم أحسن ديباجة، وأصفى رونقا من أولئك، وأرصف مبنى وأعدل تثقيفا بما إستفاد وه من الكلام العالي الطبقة." [1]

و هنا يقصد ابن خلدون بقوله أعلى طبقة في البلاغة إدراك هؤلاء الشعراء الإسلام و سماعهم للقرآن الكريم و ما يحتويه من آيات اعجازية لا تأتي بمثلها لا الجن و لا الإنس،هذا ما جعل شعرهم في أحسن ديباجة من شعراء العصر الجاهلي.

ليس المقصود باللين الذي رمى به حسان وأقره إلا سهولة وعذوبة واتته حتى ذيوع الدعوة الإسلامية، القائمة على الواقعية والصدق، والبعد عن الخيال الكاذب، والمغالاة وهذه المقولة:" أن الإسلام يحجز عن الكذب، والشعر يزينه الكذب ". يرد بها حسان على من رماه باللين، ذلك أن شعر حسان، قد اكتمل في جاهليته وازداد إيمانه به في إسلامه حين رغب أن يكون شاعر الرسول فكان شاعره الأول وكان عميد الشعر الإسلامي

2) أثر القرآن في شعره:

بحضور العقيدة الإسلامية ونزول القران الكريم، تغير وتحول فكر حسان إذ نلاحظ ذلك التحول من خلال شعره الذي تحول من الخمر والشرك والعصبية القبلية إلى الالتزام بالعقيدة الإسلامية وما تمليه عليه واقتنع بالرسالة التي حملها محمد صلى الله عليه وسلم، واعتقد أن ثمة وحيا حقا وراء هذه الرسالة فانبهر حسان ببلاغة القران ولان أمام روعته.

و يبدو اثر القرآن في شعر حسان كان يبدو واضحا من خلال المعنى والأسلوب واللفظ فمن اثر القران في معانيه:

1- التشبيه المتعرض له فيما يصيبه ويصيب قومه من شر شعره بأشقى ثمود أن أصابهم بتعرضه لناقة صالح في قوله :

يكون إذا بث الهجاء لقومه * * * ولاح شهاب من سنا الحرب واقد

كأشقى ثمود تعاطى لحينه * * * حصيلة أم السقب و السقب وارد.[2]

من قوله تعالى " إذ انبعث أشقاها (12) فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها (13) "[3]

2- وأخذ معنى قوله :

فاذهب حبيب جزاك الله طيبة * * * وجنة الخلد عند الحور في الرفق[4]

من قوله تعالى " وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاءا بما كانوا يعملون "[5]

3- واخذ معنى وجود الملائكة على جوانب السماء في قوله :

ماذا تقولون إن قال النبي لكم * * * طيف الملائكة الأبرار في الأفق[1]

---

1) محمد إبراهيم جمعة، حسان بن ثابت، ص 38.
2) ينظر محمد الطاهر درويش، حسان بن ثابت، ص79
3) سورة الشمس الآية 12 -13.
4) محمد الطاهر درويش ،المرجع نفسه، نفس الصفحة.
5) سورة الواقعة الآية 22.

من قوله تعالى **" والملك على إرجائها، ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية "**

4- وقول حسان :

وتبت ابتا ربيعة إذا أطاعا * أبا جهل لامهما الهبول**

من قوله تعالى ﴿ **تبت يدا أبي لهب وتب** ﴾

وغيرها من الأبيات التي يشهد فيها حسان انه يؤمن بالله ورسوله ويظهر فيها مدى تأثره بالإسلام وبالقران الكريم إذ يقول في رسول الله صلى الله عليه وسلم :

رسول نصدق ما جاءه * من الوحي كان سراجا منيرا**

من قوله تعالى ﴿ **ياأيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا(45) وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا(46)** ﴾[2]

ويقول كذلك في السياق عينه :

شهدت بإذن الله أن محمدا * رسول الذي فوق السماوات من علا**

من قوله تعالى **" محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم "** [3]

ويبدو تأثره جليا بالقران في هاته الأبيات التي ألقاها وهو على يقين برسالة محمد وإيمانه بالله الواحد قائلا :

تعاليت رب الناس عن قول من دعا ** سواك الاها أنت أعلى وامجد

لك الخلق والنعمـــاء والأمر كله ** فإياك نستــهدي وإياك نعبد

لان ثواب الله كل مـــــوحد ** جنان من الفردوس فيهما يخلد [4]

وهو في البيت الثاني يبنى معناه على أساس الآية ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ [5]

ومن خلال هذه الأبيات المتأثرة معانيها بآيات من القرآن الكريم يظهر مدى تأثر حسان بن ثابت بما أتى به الإسلام، فوجه أبياته إلى الأنصار ليقيم بها دعائم الإسلام وليعز بهم نبيه والكتاب الكريم.

3) موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من شعر حسان :

من مأثور قوله صلى الله عليه وسلم : **" أن من البيان لسحرا، وأن من الشعر لحكمة أو لحكما."**

و الحكمة و الحكم معناهما واحد، و المراد أن في الشعر كلاما نافعا يمنع من الجهل و السفه و ينهى عنهما.

---

1) ينظر محمد الطاهر ،المرجع نفسه،ص79.
2) سورة الأحزاب الآية 45-46.
3) سورة الفتح، الآية 29.
4) ينظر محمد الطاهر درويش ،المرجع نفسه ص80
5) سورة الفاتحة، الآية-4.

وروى عنه عليه السلام أيضا قال:" **إنما الشعر كلام، فمن الكلام خبيث و طيب ".**و كذا قيل أنه قال:**"لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين ".**

فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أنشده كعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة و حسان بن ثابت يشرق وجهه و يدعوا لهم و يشجعهم و يثيبهم و هذا ينبئ إن سيدنا محمدا "ص" كان يرتاح للشعر و يهتذله متى كان في موضعه و لم يشب بزخرف و كذب، ولم يعدل به إلى ضلالة أو معصية،"وأنه كان يحب الشعراء و يحيزهم و يحنوا عليهم و يشفق، وهل مثل السيد

الأمين في كرمه وبره وسرى أخلاقه و أدبه الإلهي و روحه المتصل بالعلي الأعلى يصدر عنه إلا خير ما يصدر عن خير سيـد كريم."[1]

هذا فيما يخص رأيه صلى الله عليه وسلم في الشعر عامة، أما فيما يخص موقفه اتجاه حسان بن ثابت، فقد كان حسان أثيرا عند رسول الله حقا،" يقدمه على الشعراء و يندبه لكل خطير و يدعو له بالتأييد، و يحسن الإصغاء إليه. و يقيم له منبرا في مسجده، و يفتقده إذا غاب، و يصطحبه إذا سافر و يصفح عنه إذا أخطا، و يشيد بجهاده في سبيل الله.و يجزل ثوابه على ما قدم ".[2]

فكان لما أراد أهل قريش الاستطالة على رسول الله بشعر شعرائهم و خطب خطبائهم أبى الله إلا إن يجازيهم بفعلهم و بدينهم لدينهم، فسلط عليهم حسان بن ثابت فكان قوله اشد عليهم من نضج النبل، و صدق وعيده بقوله لأفرينهم فري الأديم، وكان كما قال :

فقد ثكلت أمه من كنت صاحبه ** أو كان منتشبا في برثن الأسد

ما البحر حين تهب الريح شاملة ** فيعطنل و يرمى العبر بالزبد

يوما بأغلب منى يوم تبصرنـي ** أفري من الغيظ فري العارض البرد[1]

وكان النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم على سفر فقال:" أين حسان " ؟ فقال حسان: " لبيك يا رسول الله وسعديك " قال:" أحد "، فجعل حسان ينشد و النبي يصغى إليه فمازال يستمع إليه و هو يسوق راحلته. حتى كان رأس الراحلة يمس الورك طربا لنشيده، فلما فرغ قال له الرسول " **لهذا أشد عليهم من وقع النبل".**

و يروى أن الحارث بن عوف أتى رسول الله فقال : ابعث معي من يدعو إلى دينك و إنا له جار فأرسل معه رجلا من الأنصار، فغدرت بالحارث عشيرته فقتلوا الانصارى فقدم الحارث على رسول الله، وكان رسول الله لا يؤنب أحدا في وجهه فقال : " ادعوا لي حسان." فدعي فلما رأى الحارث أنشده :

ياحارث من يغدر بذمة جاره ** منكم فان محمدا لم يغـــدر

إن تغدروا فالغدر منكم شيمة ** و الغدر ينبت في أصول السخـبر

و أمانة المرى حيث لقيته ** مثل الزجاجة صدعها لم يجبـر[3]

---

1) عبد الرحمن البرقوقى، شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، دار الأندلس للطباعة و النشر، بيروت.1983، ص 48.

2)ينظر، محمد الطاهر درويش، حسان بن ثابت ص 84.

1)محمد الطاهر درويش ،حسان بن ثابت،ص84.

3) محمد الطاهر درويش ،حسان بن ثابت ،ص85.

فقال الحارث : " يا محمد، أنا عائذ بك من شعره، اكففه عنى و أؤدي إليك دية الحفارة." فادى على النبي سبعين عشراء. و هكذا لم يكن حسان شاعر الرسول كما قالت السيدة عائشة، و لا شاعر الإسلام فحسب، و لكنه كان مؤرخ الإسلام أيضا، صاحب مواقفه و إحداثه فاحصاها وعدها عدا. فمدح الأبطال ورثا الشهداء و لم ينسى منهم أحدا، و تعقب خصومهم و أعداء الدين، فدمعهم، و هجاهم فردا فردا. [1]

أما عن الغزل فقد قل شعر حسان من هذا الغرض ، إلا ما كان غزلا عفيفا و تقيا، لا مغالاة و لا إفحاش فيه ولا قصور. وهذا راجع إلى انشغاله بمدح الرسول و هجاء أبى سفيان و المشركين، في شعر بالغ الروعة، مشرق الديباجة، سهل اللفظ، إسلامي المناسبة و المذهب، رائع الصورة، صادق اللهجة، واضح التأثر بالقران و الدعوة الإسلامية، يشيد فيه الشاعر ببسالة المسلمين و قوة خيولهم التي تثير النقع، وتسرع العدو، حين تطلع على المشركين من كداء، تبارى أسنة الرماح، الظلماء إلى الدماء.فحسان شاعر الرسول صلى الله عليه و سلم و المدافع عنه بلسانه لنصرة دينه.

4)- آراء النقاد في شعره الإسلامي :

يؤكد النقاد أن شعر حسان الإسلامي لم يكن في قوته و جزالته كما في الجاهلية. حيث افتقر شعره الإسلامي من وجهة نظر بعض النقاد و أساتذة الأدب العربي إلى الجزالة و قوة الصياغة التي كانت له في الجاهلية، و يؤكد بعض النقاد على أن أساليب حسان بن ثابت بعد إسلامه سلمت من الوحشية و الأخيلة البدوية. و كذلك فقد سلم غزله من الغلو و الإفحاش والمجون ليصير أكثر عفة و نقاء. و لم تخل بعض أغراضه من جزالة اللفظ و فخامة المعنى والعبارة كما في فخره و الحماسة و الدفاع عن النبي صلى الله عليه و سلم.و رسالته ومعارضته للمشركين و هجومهم.

قال أبو عبيدة : " فضل حسان الشعراء بثلاث :

ا- كان شاعر الأنصار في الجاهلية.

ب- شاعر النبي صلى الله عليه وسلم في النبوة.

ج- شاعر اليمن كلها في الإسلام.وقال: "اجتمعت العرب على أن حسان اشعر أهل المدر."

وقال الأصمعي: " حسان أحد فحول الشعراء فقال له أبو حاتم : تأتى له أشعار بينة، فقال الأصمعي : تنسب له أشياء لا تصح عنه...."

و قال الأصمعي مرة: الشعر نكد يقوى في الشر و يسهل فإذا دخل في الخير ضعف و لان. هذا حسان فحل من فحول الجاهلية فلما جاء الإسلام سقط شعره....."

أما عمرو بن العلاء فقال : " حسان أشعر أهل الحضر ".[2]

مما سبق فإن معظم الآراء تؤكد أن حسان كان فحلا من فحول الشعراء و ذلك لأنه هناك مواقف أخرى إلتزم بالصدق في شعره وامتنع عن الإفراط و التزيين بغير حق. و غيرها من المواقف التي قيلت في شعر حسان الإسلامي مثل ما قاله الدكتور **محمد مصطفي سلام** : " لقد غلبت على أساليب حسان الشعرية الصبغة الإسلامية كتوليد المعاني من عقائد الدين الجديد و إحداثه و الاستعانة بصيغ القرآن و تشبيهاته و لطيف كناياته وضرب أمثاله و اقتباس الألفاظ الإسلامية من الكتاب و السنة و

1) عبد الرحمان البرقوقي ،شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري،ص53.

2) عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان حسان بن ثابت ص 29.

شعائر الدين. كما غلب عليها الرقة و اللين و الدماثة و اللطف و السهولة، وواقعية الصورة، وقرب الخيال.و أكثر ما نرى في ذلك في شعر الدعوى إلى التوحيد." [1]

يعد ما سبق جزء من شعر حسان في إسلامه. و هو ليس بلين أو ضعف، و إنما يجب إن نلاحظ أن المقام مقام ديني قدسي. فليس ينتظر من شاعر ملك عليه الإسلام و أحبه الرسول صلى الله عليه و سلم و كرس شعره لنصرة الدين الجديد و نصرة محمد أن يغلوا في شعره، إلا هذا الطراز من الشعر سواء كان غزلا أو هجاء أو مديحا.

1) /hassen..Abyat.word press.com/: حسان بن ثابت، إحياء التراث الشعري، 2008/05/10.

دراسة مقارنة

إن حسان بن ثابت هو أحد الشعراء المخضرمين ذلك أنه عايش أواخر العصر الجاهلي و كذلك صدر الإسلام، حتى قيل إنه عاش مئة و عشرين عاما، نصفها في الجاهلية ونصفها في الإسلام. فقبل أن يدخل حسان الإسلام كان منصرفا، شأن سائر الشعراء في العصر الجاهلي في التغزل بالمرأة و ذكر مفاتنها ووصف محاسنها.ولما جاء الإسلام و هذب من الشعر، تأثر حسان بالإسلام فهذبه وحد منه و هذا يظهر جليا في قصائده الجاهلية و الإسلامية، و من أجل التعرف أكثر على حسان و شعره في فترة الجاهلية و الإسلامية، ارتأينا إلى إجراء مقارنة بسيطة بين قصيدة له في الجاهلية و قصيدة أخرى في العصر الإسلامي ،من قصائده التي انفردت بالغزل في الجاهلية القصيدة التالية:

تطاول بالخمان ليلى، فلم تكن ** تهم هوادى نجمة أن تصوبا

أبيت أراعيها كانى موكـل ** بها، لا أريد النوم حتى تغيبا

اذ غار منها كوكب بعد كوكب ** تراقب عيني آخر الليل كوكبا

غوائر تترى من نجوم تخالها ** مع الصبح تتلوها زواحف لغبا

أخاف مفاجأة الفراق ببغـتة ** وصرف النوى من إن تشت وتشعبا

و أيقنت لما قوض الحي خيمهم ** بروعاة بين تترك الرأس اشيبا

و أسمعك الداعي الفصيح بفرقة ** و قد جنحت شمس النهار لتغربا

وبين في صوت الغراب اغترابهم عشية أو في غصن بان فطربا**

وفي الطير بالعلياء إذ عرضت لنا وما الطير إلا أن تمر و تتعبا**

و كدت غداة البين يغلبني الهوى ** أعالج نفسي أن أقوم فاركبا

وكيف لا ينسى التصابي بعدمـا ** تجاوز نفسي أن أقوم فاركبا

و قد بان ما يأتي، من الأمـــر ** واكتست مفارقه لونا من الشيب مغربا

أنجمع شوقا أن تراخت بها النوى ** و صدا إذا ما اسقبت و تجنبـا

و إذا انبت أساب الهوى و تصدعت عصا البين، لم تسطع لشعثاء مطلبا**

وكيف تصدى المرء ذي اللب للصبا ** و ليس لمعذور إذا ما تطربـا

أطيل اجتنابا عنهم غير بغضــة ** و لكن بقيا رهبة و تصحبــا

إلا أرى جارا يعلل نفســـه ** مطاعا، ولا حارا لشعثاء معتبا. [1]

و هي قصيدة كما تبدوا غزلية عادية لشاعر هجرته حبيبته بعد أن بلغ الأربعين. فلم يبقى له سوى التصابي و التأوه و ذرف الدموع، ولا نرى فيها شيئا من خصوصية الشاعر ولا لوعته الحقيقية و إذا ما كان قد أحب شعثاء فعلا أم لا، و هذه قصيدة أخرى قد انفرد بها في الغزل :

1) ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ص 14.

قالت له يوما تخاطبــه ** نفج الحقيبة عاة الصلــب [1]

أما الوسامة و المروءة أو ** رأى الرجال، فقد بدا حسبي

فوددت انك لو تخبرنــا ** من والداك، ومنصب الشعب

فضحكت ثم رفعت منصلا ** صوتي أو أن المنطق الشغب [2]

جدي أبو ليلى، ووالــده ** عمروا و أخوالي بنو كعــب

وأنا من القوم الذين إذا ** أزم الشتاء محالــف الجدب

أعطى ذوو الأموال معسرهم ** و الضاربين لمطون الرعــب[3]

و هي قصيدة قالها في زوجته، إذ مر الشاعر بنسوة ذات يوم عمرة[5] وكان خطبها سرا، فأعرضت عنه، و قالت لامرأة منهن : إذا حاذاك هذا الرجل فسليه من هو، و انسبي أخواله، فلما حاذاها سألته من هو، فانتسب و سألته عن أخواله فاخبرها فأعرضت عنه فحدد لها حسان النظر، و عجب من فعلها بامرأته و هي تضحك فعرفها. و علم أن الأمر من قبلها فانشد هذه القصيدة،إذ فيها شيء من الخصوصية و الرقة و الذوق الكثير، كما أن فيها علو الشباب المعتز، أمام عمرة بأرومته المتجذرة في أعماق العز و الرفعة و الكرم.[4]

و ما نلاحظه في هذه القصيدة أيضا أنها مزج بين الفن و الشعر لأول مرة في غزله، ذلك لأن سائر قصائده وقوف على الأطلال، و مطالع غزلية مصطنعة لا رصيد لها من صدق أو فن وهذا لأنها قيلت في زوجته عمرة التي عز عليه أن تزري به أمام صاحباتها، فانتفض رافعا صوته منتخيا بنسبه معددا مآثر قومه الذين إذا شتوا بذلوا أموالهم للمعسرين، والذين إذا خاضوا الحروب ضربوا في مواطن الرعب أي في صميم قلوب الأعداء.

هكذا يجري حسان في جاهليته على حرية مطلقة وبلهنية عيش وشباب، تارة عند أنسابه الغساسنة وتارة عند المناذرة، غير أنه نقل كل هذا في إسلامه من لا وعيه إلى وعيه في شعره فكان حسان يهذي بشمائل البطل، ويحيا في لاوعيه فيها فروسية جاهلية كرسها الإسلام ونادى بها لأنها تتلاءم مع القيم الإسلامية الجديدة، كعفة اللسان، ورباطة الجأش، والقول الفصل والجود مع قلة المال، والعفة والحياة، واحتمال أذى الدهر، والصبر على الجوع والبشاشة والنجرة.....الخ.

هاهو يغني بها كان حقائق ثابتة عاشت فيه وعاش لها و بها خصوصا أمام شعثاء :

لعمر أبيك الخير يا شعثاء مانبا ** على لساني في الخطوب ولا يدي

لساني وسيفي صارمان كلاهما ** ويبلغ مالا يبلغ السيف مذود [2]

وان لك ذا مال قليل أجد به ** وان يهتصر عودي على الجهد يحمد

---

1) نفج الحقيبة : عظيمة العجز.
2) المنصب: الأصل و مثله التصافي.
3)ديوان حسان بن ثابت الأنصاري،ص15.
(5) عمرة: زوجة حسان بن ثابت.
4) ينظر، خليل شرف الدين، حسان بن ثابت الأنصاري من الحرية إلى الالتزام ص129.
2)المذوذ :اللسان.

فلا المال ينسينى حياتي وعفتي ** ولا واقعات الدهر يظللن مبردي

أكثر أهلي من عيال سواهم ** واطوي على الماء القراح المبرد

إني لمعط ما وجدت وقائل ** لموقد ناري ليلة الريح أوقد

واني لقوال لدى البث مرحبا ** وأهلا إذا ما جاء من غير مرصد

واني ليدعوني الندى فأجيبه ** واضرب بيض العارض المتوقد

واني لحلو تعتريني مرارة ** واني لتراك لما لم أعود

واني لمزجاء المطي على الوحى ** واني لتراك الفراش الممهد[1]

لا يملك الشاعر هنا سوى أن يغنى أمام الحبيبة هذه النخوة العربية و الشمائل البدوية التي بلورها الإسلام و أبقى عليها.

أما قصائد حسان بن ثابت التي قالها في صدر الإسلام فكان يبدأ بمقدمة غزلية و كان ينشد هذه القصائد أمام الرسول صلى الله عليه و سلم ومن ذلك قصيدته التي مطلعها:

تبلت فؤادك في المنام خريدة ** تسقى الضجيع ببارد بسام

كالمسك تخلطه بماء سحابة ** أو عاتق كدم الذبيح مدام

نفج الحقيبة بوصها متنضد ** بلهاء غير وشيكة الأقسام

بنيت على قطن أجم كأنه ** فضلا إذا قعدت مداك رخام

و تكاد تكسل إن تجيء فراشها ** في لين خرعبة و حسن قوام

أما النهار فلا افتر ذكرها ** و الليل توزعني بها أحلامي

أقسمت أنساها، و اترك ذكرها ** حتى يغيب في الضريح عظامي

يامن لعاذلة تلوم سفاهة ** ولقد عصيت إلى الهوى لوامى

بكرت إلى سجدة بعد الكرى ** و تقارب من حادث الأيام

زعمت بان المرء يكرب يومه ** عدم لمعتكر من الاصرام

إن كنت كاذبه الذي حدثني ** فنجوت منجى الحارث بن هشام

ترك الأحبة ان يقاتل دونهم ** ونجا برأس طمرة ولـــجام

جرواء تمزع من العبار كأنها ** سرحان غاب في ضلال غمام [2]

فمن فخرية هذا المطلع الغزلي الدقيق الوصف لمفاتن " خريدة " بحيث يفتخر بيوم بدر ويعير الحارث بن هشام بفراره عن أخيه أبى جهل ابن هشام، ومن فخريته أيضا قصيدة عن " النظيرة "

1) ينظر خليل شرف الدين، حسان بن ثانت الأنصاري،ص140.
2) ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ،ص214-215.

حيث يتغزل الشاعر بمفاتن " النظيرة بنت القصور وكأنه يعرفها من ملاصقة ومعاشرة وغزله هذا لا يثير بقدر ما يعجب، فقد نحت للنظيرة تمثالا دقيق التفاصيل ولكنه من مرمر ليس فيه حياة، كما صور لنا نفسه ذلك البدوي الضارب في الصحراء على هدى الخبير سعيا إلى قصر الحبيب النظير :

حي النضيرة ربة الخذر * أن سرت إليك ولم تكن تسري

فوقفت بالبيداء اسألها * إني اهتديت لمنزل السفر

والعيش قد رفضت أزمتها * مما يرون بها من الفتر

وعلت مساويها محاسنها * مما أقتربها من الضمر

كنا إذا ركد النهار لنا * نغتاله بنجائب صعر

عوج نواح يعتلينا بنا * لمضين دون النص والزجر

مستقبلات كل هاجرة * ينفخن في حلق من الصفر[1]

إلى أن يقول:

فإذا الحوادث لا تضعفني * ولا يضيق بحاجاتي صدري

يعي صقاطي من يواريني * واني لعمرك لست بالهذر

إني أكارم من يكارمني * وعلى المكاشح ينتحي ضفري

لا اسرق الشعراء ما نطقو * بل لا يوافق شعرهم شعري

أنى أبا لي ذلكم حسبي * ومقالة كمقاطع الصخر

وأخي من الجن البصير إذا * حال الكلام بأحسن الحبر[2]

مطلع القصيدة هنا هو مطلع غزلي كما تعودناه عند شعراء الجاهلية،إلا انه ينتقل في الأبيات الأخيرة إلى الفخر بيوم بدر، و هذا ما يحيلنا أيضا إلى عدم رفض الرسول(ص) لهذا الغرض.

وبعد عرض هذه الأبيات الجاهلية والإسلامية نلاحظ أن أشعار حسان الغزلية في جاهليته قد انفردت بغرض واحد فقط وهو الغزل ن بينما القصائد الإسلامية فقد كانت مزيجا بين غرضين هما الغزل والفخر، إذ يبتدئ حسان قصائده بمقدمات غزلية لينتقل مباشرة إلى الافتخار وتعظيم شان قومه تارة، ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم تارة أخرى فحسان سار في جاهليته على حرية مطلقة بينما التزم في الإسلام. فلم تكن مقدماته الغزلية إلا لنساء لم يعاشرهن ولم يعرفهن بل نحت لهن تمثالا في خياله وراح يتغزل بهن ويبدأ بغزلهن قصائده الفخرية.

وذلك اللين في قصائده الإسلامية لم يكن لتراجع حسان في الإبداع في غزله وإنما لالتزام الشاعر بالدين الجديد وهو الإسلام فمن خلال شعره الإسلامي نجد أنه اكتسب رقة في التعبير بعد أن عمر الإيمان قلب هذا الشاعر وهي شديدة التأثر بالقرآن الكريم والحديث الشريف مع وجود

1) ينظر خليل شرف الدين،حسان بن ثابت الأنصاري،ص231-232.
2)خليل شرف الدين، المرجع نفسه، نفس الصفحة.

الألفاظ البدوية الصحراوية ومهما استقلت أبيات حسان بن ثابت بأفكار وموضوعات خاصة فإن كلا منها يعبر عن موضوع واحد وهو موضوع الدعوة التي أحدثت اكبر تعبير فكري قي حياة الناس. ومهما إختلطت قصائده من مدح وفخر وغزل فهي أيضا تعبر عن موضوع واحد وهو الدعوة إلى الدين الجديد.

خاتمة:

إن فنون الشعر الجاهلي متعددة، و الشعراء الذين انشغلوا بها أيضا متعددون. فقد راح كل واحد منهم يعبر عما في داخله عن طريق الشعر، فالشعر هو رمز فطرة العرب، ومجسد كمالهم، وموطن شرفهم فكان لكل واحد منهم راية، حتى جاء الإسلام و فرض رأيه في هذا الشعر كما كان للرسول صلى الله عليه و سلم رأيه الخاص أيضا، فهو لم يناقض هذا الشعر بل انشرح صدره فرحا للشعر ذي الطابع الروحي، و شجع على مناهضة الشعر المعادى للأخلاق و الرسالة التي حملها.

و حسان بن ثابت واحد من هؤلاء الشعراء الذين تحولت فكرتهم في الشعر بعد إسلامه، و خاصة الغزل فكان شعره خال من الغزل المتهتك، و نعت الخمر، و فاحش القول، و هذا راجع إلى تأثر الشاعر بالإسلام. فبعد أن كان حسان يتكسب جاه الدنيا عند الغساسنة، راح يتذوق روح الدين في الإسلام، فهو شاعر الإسلام الأول، و شاعر الرسول صلى الله عليه و سلم و بينما كان الآخرون يجاهدون بسيوفهم، كان هو يجاهد بالكلمة الشعرية و التي كان وقعها أشد من وقع السهام في غلس الظلام.

أما النتائج التي توصلنا إليها من خلال بحثنا فتتمثل في مايلي :

1-حسان بن ثابت واحد من فحول الشعراء.

2-قدرة الشاعر القوية على تقريب غرض الغزل في شعره.

3-تغلب القران الكريم بتعاليمه السمحاء على أفكار وغزل حسان مما اثر إيجابا على شعره فهو شعر الأخلاق و الإسلام.

4-غزل حسان بن ثابت في الجاهلية هو لنساء لم يعاشرهن و إنما لنساء رسمهن في خياله أو نساء كان يعرفهن في جاهليته، كشعثاء و النضيرة و بالتالي فهو لم يكن في الأصل إنسانا غير متخلق.

5- افتخار الرسول صلى الله عليه و سلم بهذا الشاعر و دعوته له للدفاع عن دينه

6-لين شعر حسان بن ثابت في الإسلام لم يكن لتراجع هذا الشاعر في الشعر و إنما لتهذيبه له.

7- تكريس حسان بن ثابت نفسه شاعرا للنبي صلى الله عليه و سلم و لدينه الجديد، لذا سمي بشاعر الرسول صلى الله عليه و سلم الأول.

قائمة المصادر و المراجع :

1-ابن قتيبة ، الشعر و الشعراء تحقيق و شرح احمد محمد شاكر ، الجزء الأول ، دار المعارف 1119 –كورنيش النيل ، القاهرة .

2-احمد الهاشمي ، جواهر الأدب في أدبيات و إنشاء لغة العرب ، منشورات مؤسسات المعارف

-بيروت ، لبنان . طبعة جديدة ، الجزء 02 ، 2004 .

3-حسان أبو رحاب ، الغزل عند العرب ، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد الظاهر ، القاهرة ، 1980م

4-حنا الفخوري ، تاريخ الأدب العربي ، ط2 منقصه و مزيدة سنة1953 .

5-خليل شرف الدين ، حسان بن ثابت الأنصاري من الحرية إلى الالتزام ، دار مكتبة الهلال ، بيروت .1992 .

6- ربيعة أبى فاضل ، حسان بن ثابت الأنصاري، شاعر الإسلام العلم للملايين ، الطبعة الأولى 1990 –بيروت .

7-عبد الرحمن البرقوقى ، شرح ديوان حسان بن ثابت ، دار الأندلس ، الطباعة و النشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان الطبعة الثالثة 1983 .

8-عبد الرؤوف دقاق ، حسان بن ثابت ، مراجعة محمد كمال . دار بيع للنشر ، سوريا – حلب – 2006.

9- قصي الحسين ، شعر الجاهلية و شعراؤها ، منشورات المكتبة الحديثة ، طرابلس لبنان 2006

10- محمد الزهر باي ، حسان بن ثابت شاعر الجاهلية و الإسلام ، مركز النشر الجامعي تونس 2005 .

11-محمد إبراهيم جمعة ، حسان بن ثابت دار المعارف ، مصر1119، كورنيش النيل ، القاهرة ج، ع ، م .

12- محمد الطاهر درويش ، حسان بن ثابت ، مكتبة الدراسات الأدبية ، دار المعارف 1119 كورنيش النيل القاهرة .

13- يوسف عيد ، ديوان حسان بن ثابت ، دار الجيل الطبعة الأولى 1992.

14- يوسف حسين بكار ، اتجاهات الغزل فى القرن الهجري ، دار الأندلس للطباعة و النشر و التوزيع ط2 1401هـ .

15- يوسف عيسى ، حسان بن ثابت الأنصاري ، حياته و شعره ، دار الكتب العلمية – بيروت لبنان – ط1990 .

16- ديوان حسان بن ثابت الأنصاري

17-معلومات من الإنترنت : حسان بن ثابت إحياء التراث الشعري

الموقع : Abyat .word press.com/hassen/05/10/2008

خطة البحث:

مقدمة:

مدخل: *فنون الشعر الجاهلي

* اثر الإسلام وموقفه من الشعر

الفصل الأول:*فن الغزل عند ة حسان بن ثابت في الجاهلية

مقدمة: * سيرة حسان بن ثابت

1-التعريف بفن الغزل : 1)لغة 2)اصطلاحا

2-ماهية و تجليات الغزل في العصر الجاهلي

3-الغزل عند حسان في جاهليته

4-مواقف النقاد من شعره الجاهلي

الفصل الثاني: *تحول رؤية حسان في شعره

مقدمة: * إسلام حسان بن ثابت

1- الغزل عند حسان في صدر الإسلام

2- اثر القران في شعره

3- موقف الرسول صلى الله عليه و سلم من شعره

4- أراء النقاد في شعره الإسلامي

الفصل الثالث :* دراسة مقارنة لقصائد جاهلية و إسلامية من شعر حسان

الخاتمة.